الغلو في الدين

المفهوم، المظاهر، الأسباب، العلاج

الدكتور عليوان اسعيد

جامعة الأمير عبد القادر

مقدمة: الغلو في الدين ظاهرة قديمة جديدة، فهو ظاهرة قديمة من حيث وجودها قبل الإسلام عند أهل الكتاب ثم وجودها في المجتمع الإسلامي ابتداء من اغتيال سيدنا عثمان رضي الله عنه وانتشارها بعد صفين، وجديدة من حيث عودتها في العصر الحديث في مناخ معين، ويجب أن تذكر مسبقا خلو الإسلام من هذه الظاهرة، حيث حددت نصوصه الأساسية من قرآن وسنة وسطيته واعتداله ورفضه للغلو والتطرف مما يجعل المفارقة بين الإسلام وتصورات طائفة من المسلمين، هي طائفة المغالين للتي تريد أن تحصر الإسلام في بعض الفهومات الضيقة ليصبح على مقاسها مستندة في ذلك حسب تصورها إلى الدين ذاته. ولما كانت تصوراتها من الخطورة بمكان على الدين ذاته من جهة باعتبارها تشويها له وطمسا حقيقته الربانية، وعلى المجتمع من جهة أخرى بما تشيعه فيه من جمود وتنفير من الدّين. ورفض للعقل وبراهينه والمنطق وأدلته والتطور البناء ومقتضياته تصبح دراسة الظاهرة من الأهمية بمكان، وقد اجتهدنا في تقسيم الموضوع إلى أربعة عناصر جوهرية هي: تحديد مفهوم الغلو في الدين ثم إبراز أهم مظاهره ثم أسبابه لنتوصل إلى العلاج.

أولا: المفهوم: للغلو في الدين مصطلحات عدة، مختلفة المبنى متفقة المعنى،هي التزمت التطرف، التعصب، التنطع. ولنشرع في تحديد هذه المفاهيم:

معنى تزمت: مصدر تزمّت: تزّمت يتزمت تزمتا، أي تشدد المرء في دينه أو رأيه أو سوكه، ومتزمت متشدد في دينه أو رأيه[1] وبهذا يحدد معنى التزمت بأنه ((نزعة إلى التشدد في الدين أو السلوك بغية تخليصهما وتطهيرهما))[2] .

معنى تطرف: مصدر تطرف تطرّف يتطرف تطرفا: جاوز حد الاعتدال كأنه وصل في تصرفه إلى الطرف. فالتطرف لغة ((يعني الوقوف في الطرف بعيدا عن الوسط، وأصله في الحسيات كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو المشي، ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك[3])).

معنى تعصب: مصدر تعصب: تّعصبّ يتعصب تعصبا لشخص أو مبدأ: غلا في التعلق به، كان غيورا عليه، فالتعصب إذن: ((غلو في التعلق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة، بحيث لا يدع مكانا للتسامح، وهو ضرب من الحماسة الشديدة التي قد تؤدي إلى العنف والاستماتة، وهو بهذا حال غير سوية على مستوى الفرد والجماعة، ويصاحبها ضيق أفق وبعد عن التعقل))[4] .

---

1 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي لارو س، د ط 1989م، ص 583.

2 - مجمع اللغة العربية (القاهرة)، المعجم الفلسفي، د ط الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م، ص 44.

3 - يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ط 2، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر، 1983م، ص 23.

4 مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص 49.

معنى تنطّع: مصدر تنطع، تنطّع يتنطع تنطعا: تنطع الشخص في الشيء: غالى وتكلف فيه، وهو منهي عنه شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم ((هلك المتنطعون))[1] . ومن معانيهم: الغالون في عبادتهم إلى حد الخروج عن ضوابط الشرع[2].

معنى غلو: مصدر غلا يغلو غلوّا: غلا في الأمر: تشدد فيه، جاوز الحد، بالغ فيه. ويتبين من خلال ما ورد في الشرع أن الغلو قسمان:

أ- **غلو كلي اعتقادي**: وهو الغلو المتعلق بكليات الشريعة ومسائل الاعتقاد كغلو النصارى في المسيح بن مريم عليه السلام، والتكفير بالمعصية.

ب- **غلو جزئي عملي**: وهو ((ما كان متعلقا بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة العملية، سواء كان قولا باللسان أم عملا بالجوارح، وذلك مثل قيام الليل كله))[3]. أو صيام الدهر أو العزوف عن الزواج بغرض الانقطاع للعبادة.

والنتيجة المستخلصة من كل هذه المصطلحات، أنها مختلفة المبنى متفقة المعنى، يفهم منها التشدد والمبالغة ومجاوزة الحد وإلزام الإنسان لنفسه ولغيره بما لم يلزمه الله عز وجل، وقد عبر الشارع الحكيم عن هذه المفاهيم بالتنطع والتشديد والغلو. وهنا ننتقل إلى الحديث عن موقف الإسلام من الغلو.

موقف الإسلام من الغلو: يعد الإسلام الدين الوحيد القائم على الاعتدال والوسطية، فهو ((منهج وسط في كل شيء: في التصور والاعتقاد والتعبد والتنسك والأخلاق

---

1 - رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن مسعود، قال السيوطي صحيح، وفي مسلم قال ذلك ثلاثا: (قحطان عبد ارحمن الدوري، التطرف الديني محاضرات الندوة الفكرية 3 التي أقامتها كلية الشريعة جامعة بغداد في: 1986/3/31م) وزارة الأوقاف والشئون الدينية، العراق، 1986م، ص 33.

2 - قحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 33.

3 - عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر ط 2، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 1999م، ج 1، ص. 23، 24، 25.

والسلوك والمعاملة والتشريع)) [1]، وذلك عكس ما عليه الملل والنحل وأهلها، قال تعالى: ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) [2]، وقد فسر محمد رشيد رضا هذه الآية بقوله: ((إن الوسط هو العدل والخيار، ذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة، فهو شر مذموم، وهو ما جعل محمد عبده يرى بأن الآية السابقة دليل على أن المسلمين خيار وعدول، لأنهم وسط، ليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرطين، فهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال، ذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الإسلام على قسمين، أحدهما مكبل بالمادية المحضة كاليهود والمشركين، والآخر بالروحانية الخاصة والعزوف عن الدنيا كالنصارى...

وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين حق الروح وحق الجسد. فأعطاها الله بذلك جميع حقوق الإنسانية. فكأنه قال: جعلناكم أمة وسطا تعرفون الحقين وتبلغون الكمالين، ((لتكونوا شهداء على الناس)) بالحق على الناس الجسمانيين بما فرطوا في جنب الله والروحانيين إذ أفرطوا وكانوا من الغالين[3]. ويتوصل إلى القول: ((تشهدون على هؤلاء وهؤلاء وتسبقون الأمم كلها باعتدالكم وتوسطكم في الأمور كلها. ذلك بأن ما هديتم إليه هو الكمال الإنساني الذي ليس بعده كمال، لأن صاحبه يعطي كل ذي حق حقه، يؤدي حقوق ربه، وحقوق نفسه، وحقوق جسمه، وحقوق ذوي القربى، وحقوق سائر الناس. ((ويكون الرسول عليكم شهيدا)) أي أن الرسول صلى الله عليه

---

1 - يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص 24.

2 - البقرة /144.

3 - محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ط 2، دار المعرفة، بيروت، د ت . مجلد 2، ص 4،5.

وسلم هو المثال الأكمل لمرتبة الوسط))[1]، وهكذا نجد الوسطية إحدى الخصائص العامة للإسلام وهي إحدى ميزات الأمة الإسلامية عن غيرها[2] . ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الغلو وحذر منه في أحاديث كثيرة وما يبين اللاتجانس بين الإسلام والغلو، ومن ذلك:

-عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين))[3] .

-و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((هلك المتنطعون)) قالها ثلاثا[4] . وقد ستعمل هذان الحديثان كلمة واحدة في التعبير عن مصير المغالين، هي كلمة ((الهلاك)) وكفى بها زاجرا[5].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى اله عليه وسلم كان يقول: ((لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوما شددوا، فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم))[6] .

و إذا كانت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم قد نهت عن الغلو وحذرت منه، فإن القرآن الكريم الذي ذكرنا قبلا أنه سمّى الأمة الإسلامية أمة وسطا، عاب على أهل الكتاب غلوهم، بل وفضحهم بسبب ذلك الغلو قال تعالى: ((يا أهل الكتاب لا تغلو في

---

1 – المصدر نفسه، ص 5.

2 – يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص 24.

3 – رواه النسائي في كتاب الحج وابن ماجة في كتاب المناسك وأحمد في مسنده.

4 – هذا الحديث سبق تخريجه.

5 – يوسف القرضاوي، 6 علامات للتطرف الديني، مجلة العربي، وزارة الإعلام الكويت، 1982م، ع 278، ص 32.

6 – أخرجه أبو داود في كتاب الأدب

دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق... وكفى بالله وكيلا))[1] ، وقال ((قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل))[2] . فخرجوا بذلك عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال[3].

و نتوصل مما سبق إلى أنه لا غلو ولا تطرف في الإسلام ((وما جعل عليكم في الدين من حرج))[4] . وأن باب التوبة في الإسلام مفتوح على مصراعيه للمذنبين مهما بلغت ذنوبهم ((قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم))[5]. وأنه لا أحد يزكي نفسه، وإذن لا أحد معيار لغيره ((فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى))[6] ولكنه إذا كان لا غلو في الإسلام، فكيف نشأ في المجتمع الإسلامي؟

نشأة الغلو وخطورته: نشأة الغلو تاريخيا في المجتمع الإسلامي تبتدئ بالفتنة التي اغتيل فيها سيدنا عثمان رضي الله عنه[7]، وازدهر عند الخوارج بعد صفين[8] واستمر عبر التاريخ الإسلامي مع بعض الفرق الإسلامية. ونشأ من جديد في عصرنا نتيجة لمجموعة من الأسباب سنشير إليها في حينها من أهمها العامل السياسي ومصادرة الحريات، ويهمنا هنا

---

1 - النساء/171.

2 - المائدة/17.

3 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، د ط . دار الفكر، د م ن، د ت، جـ 2، ص 82.

4 - الحج/ 76.

5 - الزمر/ 50.

6 - النجم/31.

7 - خالد محمد خالد، أسباب أربعة للتطرف، مجلة العربي، ع سابق، ص 55.

8 - فضيلة أستاذنا عمار طالبي، آراء الخوارج، د ط، المكتب المصري الحديث، الإسكندرية، 1971م، جـ 1، ص 98.

أن نشير إلى كيفية بدايته عند الشخص، فنقول بأنه قد ينشأ مباشرة أثناء تحـــول المـــرء المفاجئ من الانحراف العام عن الإسلام إلى الالتزام به، وقد ينشأ تدريجيا حيث يبدأ المرء متدينا عاديا ثم يأخذ في التشدد التدريجي مع نفسه ومع غيره ليصل إلى الرفض المطلـــق للمجتمع ومؤسساته[1]. ويعد الغلو من الخطورة بمكان، ذلك أنه:

- منفر لا تطيقه طبيعة البشر مما يؤدي إلى النفور من الدين ذاته ومجتمع بلا دين كقطيـــع حيوانات.

- ظرفي بسبب عسره عن النفس مما يؤدي إلى الملل فينتقل المرء من الإفراط إلى التفريط.

- يهضم حقوقا أخرى يجب مراعاتها[2] ولكنه إذا كانت هذه خطورة الغلو في الدين فمـــا معيار تحديده؟

معيار تحديد الغلو في الدين:

هناك صعوبة تعترض تحديد الغلو في الدين بدليل أن طرفي النزاع المغالين والمتهمين لهم بالغلو يستندان في الحكم على بعضهما إلى الدين ذاته حيث يتأثر الحكم بـــه أو بعدمـــه بشيئين جوهريين هما:

مقدار تدين المرء، وتدين محيطه: مما يعني أن الغلو نسبي، ذلك أن المتـــدين في بيئـــة متدينة قد يتعجب من عدم صوم الاثنين والخميس، بينما نجد غير المتدين الناشئ في وسط مثله قد يعتبر الصلاة تطرفا[3] ونقدم هنا ملاحظة مهمة تتمثل في أن:

1-أحمد كمال أبو المجد، التطرف غير الجريمة والتشخيص الدقيق مطلوب، مجلة العربي، عدد سابق، ص 36

2 - يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص- ص 29-32.

3-المرجع السابق، ص. 34، 35، أيضا قحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص-ص. 41-42

اختيار المرء لنفسه رأيا فقهيا متشددا لا يعد غلوا: وذك إذا كان يستند إلى مذهب فقهي معتبر أو اجتهاد شرعي صحيح شريطة أن لا يعمل على إجبار الغير المستند أيضا إلى مذاهب فقهية معتبرة أو اجتهادات شرعية صحيحة على إتباع ما يراه هو صوابا[1] .

ومهما يكن من أمر، فإن ما ذكرناه قبلا من نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرها مما لم نذكره يعد هو المحل، ولكي يزداد مفهوم الغلو وضوحا نشير إلى مظاهره.

ثانيا: مظاهر الغلو في الدين: للغلو في الدين مظاهر كثيرة من أهمها:

1- التعصب للرأي: ويتمثل في جمود المرء على فهمه الخاص ورفض الفهوم الأخرى المؤسسة على الشرع. كما يتمثل في عدم مراعاة ظروف العصر ومقاصد الشرع ورفض الحوار، بل حتى بمجرد سماع آراء الغير مهما كان مستوى المرء ضعيفا، فهو يجتهد ويفتي في أعقد القضايا التي يجهل عنها كل شيء ويلوي لسانه بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب وما على الآخرين سوى تنفيذ ما يراه هو حتى لو كانوا أساتذته ومعلميه ويصل الأمر بالاتهام بالابتداع في الدين أو الكفر[2].

2- التزام التشديد دائما مع وجود موجبات التخفيف مع النفس ومع الغير: وهذا يعني إلزام الناس بما لم يلزمهم الله عز وجل بحيث جعل المغالون الأصل في الأشياء الحريم لا الإباحة وكثيرا من المكروهات محرمات[3] وكثيرا من السنن واجبات ونذكر هنا أن من أراد التشديد على نفسه بالأخذ بالعزائم فله ذلك ولكن الغلو إلزام الغير بما ألزم به نفسه فيوقعهم في الحرج وهو ما يتناقض مع الإسلام ((وما جعل عليكم في الدين من

---

1 - يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 36، 37.

2 - المرجع نفسه، ص 49، 40.

3 - قحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 47.

حرج))[1] ((ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم))[2] ((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر))[3][4].

3- **سوء الظن بالناس**: وهو ناتج عن النظرة الضيقة الناتجة عن الغرور والإعجاب بالنفس وهو مناقض لما قرره القرآن الكريم ((يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم))[5]. وهكذا فإن المغالي يعتبر الإسلام هو فهمه هو، وكل فهوم الأمة خاطئة، وإذن فإنه هو وجماعته فقط الفرقة الناجية مما يجعله يشغف بالنظر في ذنوب الناس ليفسقهم أو يكفرهم مما يعني أن المرء مذنب حتى تثبت براءته عكس القاعدة الإسلامية[6].

4- التحديد الخاطئ لمفهوم الجماعة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم لزومها، يرى المغالين جماعته وحدها هي التي على الحق، وكل ما عداها من المسلمين على الضالاة في النار، وقد تطور هذا الموقف إلى تكفير الخارج عنها أو تسبيقه على الأقل[7].

والواقع أن كل فرقة من المسلمين تعد نفسها الفرقة الناجية وقد ناقش محمد عبده ادعاءات الفرق وتوصل إلى أنه من الصعوبة بمكان تحديد فرقة واحدة بأنها الناجية وحدها، لأنه ((ما من فرقة إلا ويجدها الناظر معضدة بكتاب وسنة وإجماع وما يشبه

---

1 - الحج/ 78.

2 - الأعراف / 157.

3 - البقرة / 185

4 - يوسف القرضاوي، 6 علامات للتطرف الديني، مجلة العربي، ص 32.

5 - الحجرات/12.

6 - محمد الغزالي، حذار من التدين المغشوش، مجلة العربي، ع 278، ص 43 أيضا: يوسف القرضاوي، 6 علامات للتطرف الديني، ص 35، 36.

7 - أحمد كمال أبو المجد، التطرف غير الجريمة، مجلة العربي، ع 278، ص 39.

ذلك كالقياس...))[1]. وبناء على هذا فإنه يجب أن يتجه المسلم إلى العمل بما ورد في الإسلام بدل الاشتغال بتكفير المسلمين[2]. ولقد ذهب ابن تيمية (728هـ) قبلا إلى موقف مهم من الفرق الثنتين والسبعين فيقول: ((وإذا قال المسلم ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان: يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان وإن كان من الاثنتين والسبعين فرقة فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارا بل مؤمنين فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد كما يستحقه عصاة المؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته و لم يق إنهم مخلدون في النار)) وقد ذيل كلامه قائلا: ((فهذا أصل عظيم ينبغي مرعاته، فإن كثيرا من المنتسبين إلى السنة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج))[3].

5- الموقف من المرأة: المرأة في تصور المغالي يجب حبسها وتجهيلها واتهامها لأنها عورة كلها حتى صوتها[4]و تلخّص حياتها كلها في أنها لا تخرج إلا ثلاث مرات، من بطن أمها إلى بيت أبيها ومن بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومن بيت زوجها إلى قبرها، وتغفل كل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبوىء المرأة مكانتها اللائقة بها ويكفي أن نعرف أن الإسلام هو الوحيد الذي جعلها قرة العين ((والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين))[5].

---

1 - محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط 11، مكتبة وهبة القاهرة، 1985م، ص 130.

2 - المرجع نفسه، ص 130.

3 - ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، م 2، جـ 3، ص 60.

4 - محمد الغزالي، حذار من التدين المغشوش، ص 44.

5 - الفرقان/ 74.

العنف والغلظة في التعامل مع المسلمين: يعد العنف إحدى سمات عصرنا، وهو عند غير الإسلاميين أكبر، وفي مختلف أنحاء العالم من أوربا إلى الهند واليابان[1] ويكفي أن نعرف بأن حوادث الغلو الهندوسي ضد المسلمين بلغ في سنة 1980م 427 حادثة، قتل فيها 375 وجرح 2838 شخصا. وأن المسلمين في الفلبين يبادون من طرف النصارى ومع ذلك يتهمهم الغرب الصليبي بالتطرف. فالدفاع عن النفس صار تطرفا في نظر الغرب، والكل يعرف ما وقع في البوسنة والكوسوفو وما يقع في اندونيسيا من عنف نصراني ضد المسلمين والعنف اليمين واليساري في أوربا وأمريكا حدث عنه ولا حرج[2]. ولقد تطور العنف إلى أن أصبحت دول بكاملها تمارسه وتجعله صلب سياستها الداخلية والخارجية كما هو حال الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني، ومع ك هذا فإننا نجد بعض الجماعات الإسلامية[3] تمارس عنفا ناتجا عن قصر النظر وسوء الظن بالناس مما يجعله ظاهرة غير سوية، ومثله ما نجده قديما عند الخوارج الذين قتلوا عددا من أفضل الصحابة كالإمام علي وخباب بن الأرت[4] رضي الله عنهما. أما حديثا فما نجده عند الجماعة التي اعتدت على بيت الله الحرام في بداية الثمانينات زاعمة أن أحد أعضائها هو المهدي المنتظر مما

---

1 – فهمي الهويدي، التدين المنقوص، ط 1، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1994م، ص 196.

2 – عبد الرحمن بن معلا اللويحق، المرجع السابق، ص 47، 48.

3 – الأمانة العلمية تقتضي أن نقو ل بأن العلمانيين يستعملون العنف أيضا وتمارسه الأسرة والشارع وغير ذلك مما يجعله ظاهرة عامة في مجتمعاتنا جديرة بالدراسة للقضاء عليه.

4 – لقد قتلوا خباب بن الأرت (371هـ / 657م) شر قتلة وبقروا بطن أم ولده واعترفوا بذلك (فضيلة أستاذنا عمار طالبي، آراء الخوارج، جـ 1 ص 97) ومن أراد التوسع في هذا فليرجع إلى ابن تيمية، المصدر السابق، ص 67، 62.

يوجب مبايعته بقوة السلاح[1] . ضاربة عرض الحائط بقوله تعالى: ((ومن دخله كان آمنا))[2].

والحقيقة أن طبيعة العنف تتناقض مع طبيعة الإسلام الذي أتى لإحياء الأنفس لا لإماتتها، قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسو إذا دعاكم لما يحييكم))[3].

التكفير: يعد التكفير ذروة سنام الغلو، وهو ظاهرة خطيرة في ذاتها وأشد خطورة فيما يترتب عيها، وقد يصل الأمر بالمغالي إلى الاعتقاد بأنه هو وحده أو مع جماعته أمة، وكل ما عداهم من المسلمين كفرة مرتدون[4]. وقد يبدأ من تكفير من ارتكب معصية حتى لو كان ملتزما بالإسلام[5] ويجب أن نشير هنا إلى أن هذه الظاهرة قديمة فقد وجت عن الخوارج ولاسيما الأزارقة[6] الذين كفروا سيدنا عليا رضي الله عنه وصوبوا ابن ملجم في قتله كما كفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس وسائر المسلمين وكل من ارتكب كبيرة وحكموا بخلود كل هؤلاء مع الكفار في النار[7]. ولقد كفروا حتى أتباعهم القاعدين عن قتال مخالفيهم من المسلمين وبلغ بهم الغلو إلى حد إعطاء الأمان لغير المسلم وحرمان المسلمين منه ولما كان مخالفوهم من المسلمين كفارا مشركين حسب زعمهم فقد ترتب عن هذا التكفير استباحة أموالهم واغتصاب نسائهم وقتل حتى أطفالهم

1- خالد محمد خالد، المرجع السابق، ص 54.

2 - آل عمران / 97.

3 - الأنفال / 24

4 - يوسف القرضاوي، 6 علامات للتطرف الديني، ص 36.

5 - أحمد كمال أبو المجد، المرجع السابق، ص 39.

6 - هم أتباع نافع بن الأزرق (ت 60 هـ) الشهر ستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط 2، دار المعرفة، بيروت، 1975م، م 1، هامش ص 118.

7 - المصدر نفسه، ص 122، 123، أيضا ابن تيمية، ص 61، 64.

وحرموا الصلاة وراءهم وأكل ذبائحكهم ومصاهرتهم والتوارث بينهم واعتبروا جهادهم فرض عين[1] وهنا يظهر الخطر الأشد في الربط بين التكفير والعنف.

وإذا كان ما سبق وجد قديما، فإن ظاهرة التكفير وجدت عند بعض المحدثين كجماعة التكفير والهجرة الذين يكفرون كل من ارتكب معصية بإصرار و لم يتب. ويكفرون الحكام لعدم حكمهم بما أنزل الله، ويكفرون المحكومين لرضاهم بحكامهم ويكفرون العلماء لعدم تكفيرهم الحكام والمحكومين ويكفرون كل من لم ينضم إلى جماعتهم حتى لو تبنى فكرهم أو انخرط، ثم غدر جماعتهم. فهو مرتد دمه هدر. وكذا كل الجماعات الإسلامية التي بلغتها دعوتهم و لم تحل نفسها وتبايع إمامهم. وكل العصور الإسلامية بعد القرن 4 هـ عصور كفر وجاهلية[2]. في نظرهم.

والواقع أن التكفير يتناقض كليا مع الإسلام الذي يجعل وظيفة المسلم إدخال أناس جدد إلى الإسلام لا إخراج المسلمين منه، وهو ما يقرره أهل السنة والجماعة من تحريم تكفير المسلم بذنب فعله ما لم يكن شركا أكبر وهو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع[3] بقوله: ((ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة))[4]، والمستند في هذا أحاديث نبوية كثيرة، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أيما رجل قال لأخيه: يا

1-أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، تعريب أحمد إدريس، د ط، شركة الشهاب، الجزائر 1988، ص 144

2 - يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص 54، 55.

3 - عبد الله بن عبد المحسن التركي، مجمل اعتقاد أئمة السلف، ط 2، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1417هـ، ص 158.

4 - ابن تيمية، مجموع، الفتاوى، 3/ 285/282. نقلا عن عبد الله بن عبد المحسن التركي، المرجع السابق، ص 158.

كافر، فقد باء بها أحدهما))[1]. ونشيد هنا بالمناقشة العلمية التي قام بها حسن الهضيبي لقضية التكفير وتوصل إلى أنه ((لا يجوز لنا أن نسمي كافرا إلا من سماه الله كافرا))[2].

6- الجدال بالأمور الجانبية والخلافية والانغماس فيهما على حساب القضايا الجوهرية: وذلك كقضايا اللحية والقميص[3]، والتنطع في مكان وضع اليدين، وكيفية وضع الرجلين أثناء الصلاة[4]. كل هذا على حساب القضايا الجوهرية كالإلحاد والغزو الفكري والاستعمار والصهيونية والصليبية[5] وكيفية النهوض الحضاري . ولقد وصل الأمر إلى حد اعتبار العمليات الاستشهادية في فلسطين انتحارا ووجوب هجرة الفلسطنيين الآن إلى دار الإسلام بدل ذلك اقتداء - حسب زعمهم - بالرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته من مكة إلى المدينة. هذا النوع من الجدل هو الذي حذر منه الرسول صلة اله عيه وسلم بقوله: ((ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل))[6].

---

1 - أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كفر أخاه (6104) والفظ له وسلم في كتاب الإيمان باب بيان حال إيمان من قال لأخيه ياكافر (60) نقلا عن عبد الله بن عبد المحسن التركي، المرجع السابق، ص 161، 162 وهامش 3 ص 59.

2 - حسن الهضيبي، دعاة لا قضاة، د ط، دار الصديقية للنشر، الجزائر، 1989م، ص 63.

3 - قحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 47.

4 - محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، كتاب الأمة (1)، د ط، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، 1702هـ / ص 115.

5 - قحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 47

6 - رواه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن أبي أمامة، قال السيوطي حديث حسن (عن قحطان عبد الرحمن الدوري)، المرجع السابق، ص 47.

7- **رفض العلوم الحديثة**: ويتمثل في تحريم الالتحاق بالمدارس والمعاهد العلمية[1] وتحريم دراسة العلوم الحديثة بحجة أن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار، والاقتداء بالكفار كفر. والواقع أن إعلان الحرب على العلوم الطبيعية والرياضيات والفلسفة وفنونها وصناعتها بالحجة السابقة يمثل قمة الجمود الذي حرم المسلمين ثمرات هذه العلوم فنتج عن ذلك[2] اضمحلال العقل الإسلامي[3] والاستعمار والذل، وهكذا نجد هذا الرفض نتيجة لعقلية الجمود إذ بدل أن تتفاعل مع ما أنتجه العلم الحديث وتكيفه لإعادة نهوضها الحضاري كما تفاعل الغرب مع التراث الإسلامي العربي، نجدها قد انطوت على بعض ذاتها. فكان من أخطر ما حل بالأمة نتيجة لهذا الموقف – إضافة إلى الاستعمار والتخلف – تنحي علماء الدين عن قيادة المسلمين في مختلف شئونهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لصالح المتشبعين بالفكر الغربي الذين تشكلت حياتهم وقيمهم وفقا لطابعه وقيمه، تغربوا فغربوا المجتمع في مختلف مناحي الحياة فضاعوا وضيعوا فلا تقدم حققوا ولا على تراث حافظوا[4] . وإنه لعجب عجاب أن يقع هذا في أمة أول كلمة نزلت في كتابها المقدس كلمة ((اقرأ)) وجعل هذا الكتاب فهم الكونين الأصغر والأكبر وسيلة للإيمان به قال تعالى: ((سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه

1-سالم البهنساوي، حتى لا تتكرر... وراء القضبان ولدوا وهكذا يتكلمون، مجلة العربي، ع سابق، ص46

2 - شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، د ط، مكتبة رحاب، الجزائر، 1989م، ص-ص. 88، 105، 106.

3 - محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، ص 44.

4 - أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، تعريب محمد عاصم الحداد، ط 3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1978م ص 172، 1730

الحق))[1] مما يعني أن الإيمان اليقيني الكامل يقتضي دراسة الكون بعلومه من فيزياء وكيمياء وغيرها، ودراسة الإنسان بعلومه من بيولوجيا وعلم نفس واجتماع وغيرها لندرك إعجاز الله في خلقه.

8- **رفض الحضارة**: والمقصود به رفض التطلع إلى الإبداع الحضاري بحجة أن المسلم كلف بالعبادة فهي مهمته لا الإبداع الحضاري.

و الواقع أن هذا التفكير من أخطر ما عند هؤلاء . وهو يناقض تماما طبيعة الإسلام الذي يأمر بتغيير الوضع المتردي الذي آل إليه المسلمون من ضعف وجبن نتيجة الهروب من الواقع الذي دعا إليه بعض المتصوفة وقلدهم فيه هؤلاء دون شعور. فالإسلام يأمر بالسيطرة على المادة وتسخيرها لتحقيق رسالته[2] ((ألم ترو أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض))[3]. وهذا لن يتحقق إلا بالتحكم في التكنولوجيا والمشاركة في صنع الحضارة لا مجرد التمتع ببعض منجزاتها مقابل الثمن الباهض الذي يدفعه المسلمون في إفلاسهم وإذلالهم. وها هم المسلمون نتيجة لهذا التقاعس قد صاروا مجرد فراخ عند الغرب يذبح من شاء ويؤجل ذبح الباقي إلى حيث يشاء. وإنه لعجب عجاب أن تذل أمة سورة الحديد نتيجة تخلفها في صناعة الحديد.

والخلاصة من كل ما سبق: أن ما ذكرناه أهم مظاهر التطرف في تصورنا. وقد توجد كلها عند المرء وقد يوجد بعضها، وبمقدار وجودها تكون درجة الغلو: ولما كان الغلو واقعا فإنه جدير بنا أن نبحث عن أسبابه ثم سبل علاجه.

---

1 - فصلت / 54.

2 - محمد البهي، المرجع السابق، ص 241.

3 - لقمان / 20.

ثالثا: أسباب الغلو: فهم ظاهرة الغلو في الدين يعد من الصعوبة بمكان. بسبب تشابك عناصرها، وتداخل خيوطها وعدم التحكم في عوامل إيجادها[1]. ولما كان علاج أي ظاهرة ناتج عن تشخيصها وتحديد أسبابها والفاعلين فيها. فإننا نشير إلى أسباب الظاهرة لتحديد وسائل العلاج. هذه الأسباب كثيرة، منها:

- **التعصب المذهبي:** وهو ناتج عن التحكم المفرط للمذهب في الأتباع بحيث يصبحون رافضين كل اجتهاد جديد مهما كانت الحاجة ماسة إليه[2]. وبمرور الوقت يصير هذا الوضع حالة نفسية عند أصحابها يصعب اقتلاعها.

- **الجهل:** ويؤدي إلى استغلاق العقل فيعتقد صاحبه أن ما عنده وحده فقط هو الصواب، وما عداه باطل، فينتج عن هذا الجمود والتعصب[3].

- **التخلف الحضاري:** من المعروف أن الأمة الإسلامية اليوم تعاني تخلفا حضاريا مذهلا جعلها أسيرة ذليلة لأعدائها[4]. ومعنى هذا التخلف: أن شبكة العلاقات الاجتماعية المكونة من عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء. وتركيب العوالم الاجتماعية الثلاثة الذي يحقق نتائج التركيب ويدفع المجتمع إلى التطور[5] أصابها المرض. ففسدت العلاقات الاجتماعية وأصيبت الذوات بالتضخم وصار النقاش لا يدور لحلول المشكلات، بل للتبرير والتسويغ، فاتجه التفكير للبعد عن المشكلات الواقعية لينصب على

---

1 - فهمي هويدي، المرجع السابق، ص. 205، 206.

2 - يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية، ص 64.

3 - محمد الغزالي، الحق المر، د ط، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د ت، ص 108.

4 - محمد الغزالي هموم داعية، د ط، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د ت، ص 136، 137.

5 - مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية ترجمة عبد الصبور شاهين، د ط دار الفكر، لبنان، 1974م، ص-ص. 23، 24، 25

مشكلات خيالية مثلما كان عليه فقهاء عصر الانحطاط فأصيبت الأنا الإسلامية بالعقد النفسية[1] فتقوقعت وضاق أفقها فكان هذا أحد أهم أسباب الغلو.

- **الفساد السياسي[2] والطغيان الداخلي[3]**: فاندفعت الأنظمة الحاكمة إلى التنكيل بالإسلاميين وقمعهم بطريقة وحشية لا مثيل لها . ولا أدل على صحة هذا السبب من أن جماعة التكفير والهجرة نشأت داخل السجون وهكذا كان التطرف في الظلم مؤديا إلى التطرف في مقاومته تطرفا أدى إلى الانحراف.

- **الظلم الاقتصادي وسوء توزيع الثروات[4]**: وقد نتج عن هذا سياسة التهميش والإقصاء مما أدى إلى اليأس والقنوط في النفوس.

- **سياسة التغريب والتبعية الفكرية والاجتماعية والتشريعية[5]**: وقد نتج عن هذا التطرف العلماني وحيازة العلمانيين على الثروة والسلطة وجعلهم أقلية ممتازة على حساب الأغلبية المسحوقة من المجتمع، واتباعهم سياسة التخاذل أمام العدوان الغربي العسكري والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فنتج عن ذلك رد فعل متطرف لمواجهة التطرف العلماني المبالغ في التغريب والإيذاء.

وسائل العلاج: تحديد موضوع الظاهرة بدقة وموضوعية ودراسة أسبابها الحقيقية[6]

- معالجة الأوضاع الاجتماعية المتردية الناتجة عن التوزيع غير العادل للثروات، ونبذ سياسة التهميش والإقصاء.

---

1 - المرجع نفسه، ص-ص. 40، 41.

2 - محمد الغزالي، هموم داعية، ص 138.

3 - يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، ص 102.

4 - المرجع نفسه، ص 102.

5 - يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، ص 102

6 - أحمد كمال أبو المجد، المرجع السابق، ص 39.

- نبذ سياسة الاستفزاز المقصودة[1] المنتهجة من بعض حكومات الدول الإسلامية تجاه الإسلام والتخلي عن سياسة التنكيل بالإسلاميين، ومقاومة التطرف العلماني الذي يكشر عن أنيابه محتميا بالأنظمة الحاكمة في بعض هذه الدول مما يؤدي إلى رد فعل معاكس بحكم الطبيعة البشرية.

- تبني الدول العربية والإسلامية الإسلام الصحيح واعتماده في سياستها الداخلية والخارجية، ونشره في المجتمع بواسطة التعليم ومختلف وسائل الإعلام وبذلك يقطع الطريق أمام كل من تسول له نفسه تبني مفهوما مغالطا عن الإسلام كما تعود الثقة بين هذه الدول وبين شعوبها مما يحقق الأمن والاستقرار.

- نبذ سياسة الإقصاء السياسي للإسلاميين بفتح مجال الحرية السياسية أمامهم في الدول ذات التعددية الحزبية وذلك مساواة لهم — على الأقل باللائكيين، إذ بأي منطق يفتح مجال الحرية السياسية لغير الإسلاميين ويوصد في وجه الإسلاميين؟ ويكفي أن نعرف بأن الغلو نبت في ظل الاستبداد السياسي إلا بعد صفين أو في السجون وراء القضبان[2] [3] ... إن الإقصاء السياسي المسلط على الإسلاميين دون سواهم يعني أن مجرد انتساب المرء إلى الإسلام يجعله مواطنا من الدرجة الثانية مترع الحقوق المدنية مما يعني أن الإسلام يساوي الإجرام. وهذا من أكبر عوامل التطرف.

- محاربة النظرة المذهبية الضيقة: تعد النظرة المذهبية الضيقة سواء على مستوى الفقه أو على مستوى الفرق الكلامية والسياسية من أهم أسباب ضعف المسلمين وتمزقهم وطغيان نزعة التبعية الضيقة في أذهان التابعين كما أعطت للمتبوعين سلطة مطلقة في آرائهم ومؤلفاتهم وتحكمت هذه النظرة في الأمة الإسلامية فكان ذلك مدعاة لشيوع التعصب

---

1 – المرجع نفسه، ص 40.

2 – محمد الغزالي، حذاري من التدين المغشوش، ص 42.

3 – محمد الغزالي، حذاري من التدين المغشوش، ص 42.

وضيق الأفق وصار قادة هذه الاتجاهات ينظرون إلى الافتراق بدل الوحدة كل يدعي أنه وحده الفرقة الناجية[1].

ولحل هذه المعضلة يتحتم إعادة النظر في الفرق والمذاهب الإسلامية المختلفة من حيث ما يجمعها لا ما يفرقها فتشيع روح المحبة والتسامح ويعود المسلمون إلى وحدة الغاية والهدف ويوجهون أنظارهم إلى واقعهم المزري وإلى عدوهم الحقيقي.

- عدم مقابلة التكفير بتكفير مماثل: وقدوتنا في هذا الإمام علي رضي اله عنه عندما سئل عن الخوارج الذين كفروه[2] أكفارهم؟ فلم يصفهم بالكفر ونفى عنهم النفاق[3]. فقد قيل له: ((أكفار هم؟ قال من الكفر فروا، قيل: منافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، وهؤلاء يذكرون الله بكرة وأصيلا. قيل: فماهم؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا))[4].

والواقع أن التكفير ذاته بدعة شاعت في العصور الإسلامية السابقة حيث نجد كل أهل بدعة يكفرون مخالفيهم كما بين ابن تيمية[5] وليس منطقيا أن نعيب على المغالين ظاهرة التكفير ونلجأ إلى أنها مهم بها.

- تدريس الجهاد في مختلف مراحل التعليم وفقا للمفهوم الإسلامي الصحيح. وذلك بدراسته في القرآن والسنة والتراث الفقهي والواقعي ((لاستجلاء حقيقته الموضوعية الثابتة وظروفه التاريخية المتغيرة في غير لبس... حتى لا يندفع مسلم في عدوان عن جهل أو

---

1 - محمد البهي، المرجع السابق، ص 126، 127.

2 - قحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 49.

3 - فضيلة أستاذنا عمار طالبي، المرجع السابق، ص 16.

4 - عثمان بن عبد العزيز الحنبلي، منهاج المعارج لأخبار المعاوج (مخطوط) نقلا عن أستاذنا عمار طالبي، المرجع السابق، ص 16، أيضا ابن تيمية، منهاج السنة، م 2. جـ 3، ص 60.

5 - ابن تيمية، المصدر نفسه، ص 60.

خطأ في التأويل))[1] ونتبنى هنا رأي عبد الحميد أحمد أبو سليمان المتمثل في: ((أن الفهم السليم إسلاميا لمواضع استخدام العنف الصحيحة والالتزام النفسي به، هو جوهر الحل الذي يمكن أن يعطل وحتى الصراع الشرس المرير الذي يطحن شعوب الأمة الإسلامية، وينهك قوى الأنظمة والصفوات الحاكمة والمعارضة، بغض النظر عن أسباب الصراع والنزاع والنزال))[2] وسنحقق من تدريس الجهاد إضافة لما سبق هدفين مهمين هما:

أ- قطع الطريق أمام كل من تسول له نفسه اتخاذ الإسلام وسيلة للعنف.

ب- تقوية الجيوش العربية معنويا لتعويض ضعفها في العتاد أمام الاستعمار الغربي الجديد الذي إضافة لتفوقه في العتاد فإنه ينطلق من دين في تحطيم المسلمين، ولا أحد يجهل أن الكيان الصهيوني دولة دينية محضة.

- محاربة أسباب الغلو، ومن أهمها الغلو في التغريب، وذلك أن الحركات الإسلامية الحديثة ظهرت مع هيمنة التغريب وتصاعدت مع تصاعده. فالغلو في التغريب ولد الغلو في بادين كما يقول طارق البشري[3]، وإزالة السبب يؤدي إلى إزالة المسبب.

- نشر التعليم الإسلامي في مختلف مراحل التعليم بطريقة صحيحة وسوف يؤدي هذا بالمجتمع حكاما ومحكومين إلى اتخاذ الإسلام نظام حياة فيتم بذلك القضاء على الغلو.

- تربية الناشئة تربية إسلامية لا غلو فيها. وإن بدر منهم بعض الغلو نصحوا برفق لأن العنف معهم قد يدفعهم إلى غلو أكبر أو إلى الضياع اللاديني فيهوون في أحضان الرذيلة والفساد[1].

---

1 - محمد فتحي عثمان، الوسيط الغائب بين الشباب والسلطان، مجلة العربي، ع سابق، ص 57.

2 - عبد الحميد أحمد أبو سليمان، العنف وإدارة الصراع السياسي بين المبدأ والخيار، رؤية إسلامية، سلسلة أبحاث عملية (6) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية: 1999م، ص 51.

3 - طارق البشري، سيبقى الغلو ما بقي التغريب، مجلة العربي، ع سابق، ص 60، 61.

- **ما يتعلق بقضية امرأة:** يجب توجيه الشباب إلى فهم موقف الإسلام من المرأة والرجل في مجال الوظائف الحياتية والتكاليف الدينية وتوجيههم منهجيا إلى نظام الإسلام الاجتماعي لمعرفة ما يحكم العلاقة بين الرجل والمرأة، ووظيفة كل منهما ورسالته[2]، ولن يتحقق هذا إلا في ظل نظام تربوي سليم يعيد للمرأة مكانتها ويجعل الآخرين يقدروها حق قدرها.

هذه أهم وسائل علاج ظاهرة الغلو في تصورنا وأخذها بعين الاعتبار سيخفف على المسلمين كثيرا من متاعبهم ويقوي شوكتهم ويحقق لهم الاستقرار والأمن مما يسه لهم عملية النهوض الحضاري المنشود.

---

1 - قحطان عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص 48، 49.

2 - عباس محجوب، مشكلات الشباب الحلول المطروحة... والحل الإسلامي، كتاب امة (1) ط 1، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر، 1406هـ، ص 60، 61.